من اتفاق التسوية هو تسوية، أو حل، الازمة بكل جوانبها، وانما مجرّد توطين الصراع. ويتمّ ذلك من طريق ضمان مجرّد فك الاشتباك بين الجانب الدولي والجانب الوطني في هذه الصراعات. فاتفاقية جنيف الخاصة بأفغانستان تعني، في الجوهر، «أفغنة» الصراع بعد الانسحاب السوفياتي. وكذلك، فان المفاوضات في جنوب أفريقيا قد فشلت في التوصل الى حل مقبول لدى الاطراف لمشكلة حركات التمـرّد، وهو الأمر الذي يعني مواصلة الحرب الأهلية في أنغولا، حتى بعد انسحاب قوات جنوب افريقيا وقوات كوبا واستقلال ناميبيا. وفي حالة نيكاراغوا، فان الولايات المتحدة قد استخدمت مناهج مباشرة لاستخدام القوة، ولكن وسيلتها الرئيسة لاسقاط حكومة نيكاراغوا الشرعية هي استخدام حركـة الكونترا. وقد ينتهي الصراع حول كمبوتشيا بحرب أهلية مشتعلة بين المنظمات العسكرية الكبرى الثلاث، بعد اقرار الانسحاب الفيتنامي.

٤ ـ عوامـل نجـاح، أو فشـل، دبلوماسية التسويات الاقليمية: لا يزال معظم التسويات الاقليمية في اطار العمل التفاوضي في مراحله المختلفة؛ وبالتالي، يصعب التحدّث عن نجاح أو فشل قاطعين، خاصة اذا أخذنا في الاعتبار الأمد الزمني الطويل نسبياً الذي تستغرقه دبلوماسية التسوية حتى تستقر على الاتفاق النهائي. ومن هنا، يمكننا التحدث، فقط، عن نجاح وفشل نسبيين.

فتوقيع اتفاق، مهما كان ناقصاً، يعتبر نجاحاً نسبياً؛ واستمرار المفاوضات، بتكرارية أكبر، يمثّل نجاحاً، اذا كانت شقة الخلاف تضيق بالتدريج؛ بل ان مجرّد الموافقة على ايقاف اطلاق النار يعتبر، في بعض الاحوال، نجاحاً كبيراً، مثلما هو الحال مع الحرب العراقية ـ الايرانية. ومعنى ذلك، ان كافة التسويات الاقليمية فيها بعض عوامل النجاح وبعض عوامل الفشل.

ومن هذا المنظور، فان النجاح النسبي لدبلوماسية التسوية الاقليمية قد يتوقف على اجتماع ثلاثة عوامل مختلفة.

العامل الأول يتمثّل في تعبير المشروعية الدولية عن نفسها بصورة فعّالة، من خلال تكييف المزاج الحاكم للرأي العام العالمي، وصدور قرارات متواترة من منظمات دولية وشعبية عالمية، والدفع نحو فرض عقوبات مادية، أو رمزية، على الطرف المخالف، الخ.

ان محاولة التقليل من فعالية المشروعية الدولية والسخرية منها في الكتابات العربية لا تتفق مع الوقائع التي تعكسها الدراسة المقارنة لتجارب التسويات الاقليمية. ففي الحالتين الأبرز نجاحاً، أي الجنوب الافريقي وأفغانستان، كان لهذا العامل دور بارز في الدفع نحو التسوية. وكان لهذا العامل دور ملموس، بهذه الدرجة أو تلك، في مختلف الحالات الاخرى. كما أن المشروعية الدولية كانت، في الاجمال، هي المصدر الرئيس لجداول أعمال دبلوماسية التسوية. بل ويمكن القول، ان درجة النجاح قد ارتبطت، ارتباطاً لزومياً، بالحدّة التي عبّرت بها المشروعية الدولية عن نفسها.

والعـامل الثاني هو حدوث تحوّل ملموس في موازين القوى العسكرية على ساحات القتال، أو حدوث تغيرات من شأنها ان تجعل عبء الامر الواقع غير مطاق بالنسبة الى الطرف الاقوى نسبياً. وقـد رأينـا ان تحوّلات في الموازين العسكرية قد حدثت في خمسة من الصراعات العشرة موضوع الدراسة هنا؛ في حين حدثت تحوّلات مناظرة في الابعاد الاقتصادية، أو السياسية، للصراع في الحالات الباقية.

والعامل الثالث يتمثّل في قيام أحد العملاقين بدور المبادرة النشطة في دبلوماسية التسوية، امّا باعتبـاره وسيطاً، وامّا باعتباره شريكاً، في الصراع، مع حصوله على مساندة المقابل، على الاقل في